المحتويات

المقدمة : ظهور الدراسات حول الحب في الأبحاث الغربية والعربية. ٤

المحور الأول: لغات الحب في المتخيل الأدبي والفني

الحب والجنس في القصص الشعبي – سيرة الأميرة ذات الهمّة
..... نازك سابا يارد ١٤

الحب في الأغنية الحديثة ..... كلاديس سعادة ٤١

أيقونوغرافيا الحب والجنس: جمالية المكشوف والمحجوب
..... هند الصوفي ٦٠

«من الحب ما قتل». قراءة في المسرح الإغريقي–الفرنسي
والشكسبيري والعربي ..... وطفاء حمادي ٨٤

المحور الثاني: الحب في المُعاش الاجتماعي والنفسي والصراع مع التقاليد

الحب في مرمى القانون .....ماري روز زلزل ١١٤

الشباب والزواج : المعوقات الاجتماعية والاقتصادية ..... حسان حمدان ١٣٧

الحب والجنسانية عند المعوّق .....منى فيّاض ١٥٤

مرايا المروءة : قبْسٌ من مفهوم الحب عند العرب
في العصور الوسيطة ..... أبو بكر أحمد باقادر ١٧٥

مريدات في حضرة شيخهن ..... منال نحاس ١٩٤

Le désir amputé - le vécu sexuel de femmes libanaises: (revu) 15 ans
après. ..... Marie-Thérèse Khair Badawi ٢١٦

Difficultés de jeunes libanaises non mariées dans leurs rapports avec
l'Autre sexe. (Extrait de maitrise) ..... Gisèle Abi Chahine ٢٢٧

المحور الثالث: شهادات و خواطر

ولا تَحرُك الواحدة دون الأخرى – ترجمة وشرح حسن عبّود
..... لوس إيريغاري ٢٣٠
نوع من الجنون ..... مي غصوب ٢٤١
الحب والوحدة والهورمونات – دوائر الحب العقارية ..... نجلاء حمادة ٢٥١
لماذا وَجَدْت صعوبة في الكتابة عن تجربتي في الحب ..فهمية شرف الدين ٢٦٢
... عن الحب ..... هيفاء بيطار ٢٦٤
دعكِ من الهموم وقبليني .. ..فيديل سبيتي ٢٦٧
رقصة العاشق .....ماري روز زلزل ٢٧٤

Amour et metro (témoignage)..... Suha Bitar ٢٨٤

الملاحق

ملحق رقم ١: ملخصات الأبحاث ٢٨٦
ملحق رقم ٢: المساهمات والمساهمون في الكتاب ٢٩١

مقدمة
ظهور الدراسات حول الحب في الأبحاث الغربية والعربية

مارلين نصر
ومحمد أبي سمرا

كانت وما زالت علاقة الحب بين الجنسين من شواغل الإنسان الجوهرية. وقد شكّلت هذه الحالة محور غالبية أساليبه التعبيرية منذ نشوء الحضارات البشرية على اختلافها: الرقص والشعر والتصوير والنحت، الفولكلور والقصص الشعبي والموسيقى والمسرح والغناء، وصولاً إلى الفنون الحديثة، كالرواية والسينما، وفن الإعلان والفيديو-كليب.

وفي العصور الحديثة كان الحب والجنس ركيزة ولادة حقل جديد من حقول علوم الإنسان، ألا وهو علم النفس البشري الذي صار ركناً من أركان المعرفة الحديثة بطبيعة الإنسان وحاجاته وغرائزه الجمعية والفردية، وبفنونه التعبيرية.

في الثقافة العربية في عصورها القديمة احتلت اللغة والفنون اللغوية معظم مساحة فنون التعبير، وكان للشعر الحيّز الأوسع من هذه المساحة، فإذا بالحب والغزل في طليعة موضوعات الشعر العربي الكلاسيكي، وإذا بالعلاقة بين الجنسين تحضر حضوراً بارزاً في المرويات والأخبار والتراجم والأحاديث، وتحتل موقعاً لا بأس به من علوم الدين، لتشكل جزءاً مهماً من الموروث الثقافي العربي والإسلامي.

وفي الحقبة الحديثة من حياة الثقافة العربية، أي منذ بدايات عصر النهضة في أواسط القرن التاسع عشر مع بدايات احتكاك النخب

العربية بالثقافة الغربية، حضرت مسألة تحرير المرأة إلى جانب الدعوة إلى التقدم والتمدن والخروج على التقاليد القديمة الموروثة، وفي الأدب العربي الحديث، شعراً ونثراً، احتل تحرير العواطف والمشاعر وإطلاقها في فضاءات التعبير الأدبي، الحيز الأوسع في النتاج الثقافي المكتوب الذي جعل من الحب والتغني بجمال المرأة والتوق إلى حضورها في الحياة العامة والخاصة ككائن غير مستبعد وغير محجوب، موضوعاً أساسياً من موضوعات الأدب والشعر، وذلك في محاولة مستجدة لتجاوز الحظر والممنوعات والتقاليد والشرائع الاجتماعية التي تشوب العلاقة بين الجنسين.

أما مع شيوع وسائل الاتصال الجماهيري الحديثة، ودخول المسرح والرواية السينمائية والتلفزيون والغناء دخولاً واسعاً إلى فضاء الحياة الاجتماعية والثقافية العربية، فقد غزت الصور، لا سيما صور سفور المرأة، المخيلة العربية، وأمسى كل من الحب والعلاقة بين الجنسين من الهواجس الأساسية العامة في النتاج الثقافي النخبوي والشعبي الجماهيري.

في الثقافة الغربية الحديثة، احتلت الحياة الجنسية للكائن البشري موضعاً أساسياً في علم النفس الفرويدي. أما في مجال العلوم الإنسانية فقد تأخر نسبياً تناول الحب والجنس حتى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

– أسس عالم الاجتماع الألماني جورج سيمل (George Simmel) علم اجتماع العلاقات بين الأشخاص، فوضع عام ١٩١٠ أول كتاب في الموضوع، عنوانه **فلسفة الحب**، درس فيه علاقات الحب والغرام والزواج. لكن كتاب سيمل الذي يعتبر رائداً في مجاله، لم يُعرف عالمياً إلا بعد ترجمته إلى اللغة الإنكليزية في الخمسينات من القرن المنصرم.

– في فرنسا شكل كتاب **الحب والغرب** لروجمون (Denis de Rougemont) الكتاب «النجم» في دراسة الحب والشعور الغرامي في الثقافة الأوروبية. وقد نُشر هذا الكتاب عام ١٩٣٩، وهو خليط من الأنثروبولوجيا التاريخية والتأريخ الاجتماعي للشعور الغرامي لدى الشعوب الأوروبية.

– انطلاقاً من الخمسينات وبعد ظهور المدرسة الفرنسية والإنكليزية في التأريخ مع جورج دوبي وفيليب آريس وفرنان بروديل، ظهرت دراسات مهمة في التأريخ الاجتماعي للعلاقات الثنائية بين الرجل والمرأة، والعلاقات الجنسية السابقة للزواج. وفي الحقبة نفسها، ومنذ الثلاثينات، اهتم علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)

بدراسة العلاقات بين الجنسين لدى الشعوب والجماعات البدائية، مع مالينوفسكي ومرغريت ميد.

إن الصدمة التي أحدثتها الفرويدية في جعل الرغبة الجنسية في أساس تكوين الشخصية منذ الطفولة، أدّت إلى اعتبار العلاقة بين الرجل والمرأة نتاجاً «للتروما» الجنسي الذي يعيشه الاثنان في طفولتهما. وقد أثّرت المدرسة الفرويدية على الباحثين في العلاقات بين الجنسين في معظم فروع العلوم الإنسانية.

– في الخمسينات من القرن العشرين، وبعد ظهور المدرسة السلوكية في علم الاجتماع وازدهارها في الولايات المتحدة الأمريكية، نشطت وازدهرت الأبحاث والدراسات حول اجتماعيات الحياة الجنسية. وهي الأبحاث والدراسات التي تطورت لاحقاً وحتى أيامنا هذه، لتصبح علم اجتماع الجنسانية، وعلم إحصائيات العلاقة الجنسية. وقد شكل «تقرير كينسي» حول السلوك الجنسي لدى الأمريكيين والأمريكيات، المعلم الأول في هذا المجال. وفي الستينات وضع «ماستر وجونسون» تقريرهما حول العلاقات الجنسية، ليتبعه «تقرير شارون هيت» (Sharon Hite) التي اعتمدت بشكل رئيسي وخلافاً للتقريرين السابقين، على المقابلات الشخصية حول هذا السلوك.

– في السبعينات من القرن العشرين تكاثرت الدراسات «السكسولوجية» وانتشرت، فامتدت إلى البلدان الأوروبية، حيث بدأت تظهر الدراسات العلمية حول السلوك الجنسي لدى مختلف الشعوب الأوروبية، وتُنشر في المجلات العلمية ووسائل الإعلام الأخرى.

– وشهدت السبعينات أيضاً انكباب كبار الباحثين والفلاسفة وعلماء الاجتماع على التنقيب الأركيولوجي المعرفي في تاريخ العلاقات والعادات الجنسية في الحضارتين الإغريقية والرومانية، اللتين نشأت عنهما الحضارة الأوروبية. وقد يكون العمل الموسوعي الذي وضعه ميشال فوكو في عنوان **تاريخ الحياة الجنسية**، أو **تاريخ الجنسانية** الأهم في هذا المجال والسياق.

– إلى جانب أبحاث ميشال فوكو، ظهرت أيضاً جملة من الدراسات السوسيولوجية والنفسية التي تناولت واقع العلاقات الغرامية والحب والجنس. وقد برزت هذه الدراسات والأبحاث في المكتبات الفرنسية والإيطالية والألمانية، كما لم تخلُ المجلات العلمية المتخصصة والأبحاث الجامعية من دراسات كثيرة تصدت

لجوانب مختلفة من الشعور الغرامي وواقع الحياة العاطفية والغرامية. ومن هذه الأبحاث والدراسات تتميز أعمال الإيطالي فرنسيسكو ألبيروني الذي اشتهر في كتبه: **صعقة العشق، صدمة الغرام**، و**الحب في حال البزوغ**. وتتفرد دراسات ألبيروني وأبحاثه في هذا المجال بتركيزها التفصيلي على وجوه وجوانب محددة من موضوع الحب والغرام، بوصفهما ظاهرة مستقلة يجري تناولها على نحو عميق وتفصيلي انطلاقاً من ظواهر «الوقوع في الغرام والحب»، و«العزوبة»، و«علاقات الزواج»، و«الصداقات الغرامية».

وفي هذا السياق يحضر الباحث الفرنسي الشهير رولان بارت «مقتطفات من خطاب العشق» الذي تناول فيه العشق والغرام في دقائق الحياة اليومية الحديثة وأدوارها، وكظاهرة في السلوك الإنساني والشخصية الإنسانية، ومستقرئاً في العلاقات الأدبية والنتاج الأدبي.

ليست هذه الإشارات والعناوين والموضوعات سوى غيض محدود من فيض المؤلفات والدراسات والأبحاث التي تناولت الحب والغرام والعشق والعلاقات الجنسية في الثقافة الغربية الحديثة وفي ميادين علم النفس والاجتماع والإناسة والفلسفة.

في ثقافتنا العربية الحديثة التي لا تزال حقولها المعرفية المختلفة في حال من الاختلاط والمراوحة وعدم التجذّر، خصوصاً في مجالات الفلسفة والتأريخ والاجتماعيات وعلم النفس، يصعب إيجاد سياقات واضحة ومحددة للأبحاث والدارسات التي تصدّت للحب والحياة الغرامية والجنسية والعلاقة بين الجنسين في الموروث الثقافي العربي الإسلامي، وفي الأزمنة الحديثة.

وإذا كان للجنس والحب حضورهما في هذا الموروث، فإن ثقافتنا الحديثة. التي يُؤرّخ لها ببداية النهضة الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر في المشرق العربي (لبنان وسوريا ومصر)، قصّرت عن تناول هذا الموروث والبحث فيه، إلا في ما ندر. ومن هذا النادر نذكر:

– **الحب العذري: بحث في الحب المقموع** للباحث السوري يوسف اليوسف، الذي تناول، في السبعينات من القرن العشرين، الشعر العذري العربي في بدايات ظهور الدعوة الإسلامية.

– **الغزل العذري** للباحث التونسي الطاهر لبيب، الذي تناول الموضوع نفسه من زاوية مختلفة، في الثمانينات من القرن المنصرم.

– في بعض المجلات الثقافية والأدبية (**الآداب**، **دراسات عربية**، و**مواقف**)، ظهرت بعض الدراسات الجزئية والمتناثرة التي تناولت بعض المؤلفات التراثية في الحب والجنس والعشق، ككتاب ابن حزم الأندلسي **طوق الحمامة**، وغيره.

وفي بدايات عصر النهضة الأدبية العربية وحتى الأربعينات، استغرقت الكتابة الشعرية والوجدانية النثرية، الحيز التعبيري للكتّاب والمثقفين، فشكّل الحب والغزل والمشاعر الوجدانية المتأججة بالعواطف والأهواء والرغبات التي تخاطب المرأة والحبيبة، ركنا أساسياً في الخطاب الأدبي والثقافي.

ومع ظهور الرواية العربية الحديثة اتسع نطاق تناول الحب والعلاقات الغرامية والجنسية وما يحف بها من ممنوعات ومحرمات. هذا كله حصل في النتاج الأدبي المكتوب الذي حاول الوصول إلى الحياة الداخلية والحميمة للعلاقات الغرامية، وإلى الحياة الخاصة للشخصيات الروائية التي تعيش أصلاً حالة من الفردية المعطلة أو الموقوفة، في مجتمعات لم يظهر فيها الفرد والحياة الفردية إلا على نحوٍ جزئي وفي دوائر اجتماعية محددة على صلة ما بالثقافة الأوروبية الحديثة، وبنمط الحياة الأوروبية.

ومع ظهور الإذاعات في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، انتشرت الثقافة الشفوية وشكّلت الأغنية قاموس الحياة العاطفية الغرامية المشبوبة لدى مروحة واسعة من الفئات الاجتماعية العربية. وقد ظهر في نماذج كثيرة من الفن الغنائي العربي المشرقي، أن هذه العاطفة الغرامية يستغرقها حب الحب أو التوقِ الجامح إلى الحب والعشق، أكثر ما هي تقارب التجربة الغرامية الفعلية. وهكذا كانت الأغاني صانعة مخيلات غرامية ورسائل عشق بين محبين وعشاق متباعدين.

والحق أن النتاج الشعري العربي الرومنطيقي الحديث، وكذلك النتاج النثري الوجداني، في الحقبة نفسها، حملا كثيراً من السمات المشتركة بينها وبين الأغاني، في مجال وصف الشعور الغرامي المشبوب بين محبين وعشاق متباعدين يصعب عليهم الوصال واللقاء.

وقد تكون الدراسة التي وضعها السوري أبو علي ياسين في الستينات من

القرن العشرين في عنوان: **الثالوث المحرّم: الدين والجنس والثورة** ذات دلالة في هذا السياق، رغم استغراقها في الهم الأيديولوجي. أما دراسة الباحث المصري ناجي نجيب التي وضعها في الثمانينات من القرن المنصرم بعنوان: **كتاب الأحزان–أحزان المواطن العربي الصغير**، فتكاد تكون الأولى في مجالها: دراسة الخطاب الأدبي والشعري العربي الحديث، كإطار للتفتح الفردي الرومنطيقي، ولتنامي الشعور الغرامي المشبوب، وصولاً إلى اعتبار التفتح والتنامي هذين ظاهرة تشير إلى فردية مثلومة ولدت جريحة ومنقوصة، وإلى حب وغرام وعشق في حال من استدرار الدموع وسفحها حيال تلك الفردية الممتنعة أو غير المكتملة.

وإلى جانب الأغنية حضرت السينما كفنّ راح جمهوره يتسع في المدن العربية منذ الخمسينات من القرن المنصرم، فاستغرق الحب والغرام والزواج معظم النتاج السينمائي العربي (المصري)، وأطلق للمرة الأولى في الحياة المدينية العربية صورة المرأة السافرة على نطاق عام وواسع.

وكما فعلت الأغنية والأدب الرومنطيقي، أشاعت السينما العربية صوراً للغرام والعشق والحب والعلاقات الزوجية لا تخلو من النمطية، لكنها أنعشت المخيلة العاطفية لفئات اجتماعية واسعة تتوق إلى التعبير عن مشاعرها المشبوبة الجديدة حيال الحب والعلاقات الجنسية.

ومن وجه آخر كان للاندفاعة الشعرية والروائية والمسرحية الجديدة في الستينات والسبعينات فعلها وصخبها في أواسط الأجيال الشبابية المتعلمة في المدن العربية، خصوصاً المشرقية منها، حيث ظهرت حركات «التمرد» على التقاليد. وهي الحركات التي جعلت من النتاج الثقافي الحديث معبراً لصور وتهاويم جديدة عن العلاقات الغرامية والجنسية، فكسرت بعض الممنوعات والمحرمات السابقة في هذه العلاقات، وقد كان للنتاج الروائي العربي الجديد جرأة غير مسبوقة في مقاربة العلاقات بين الرجل والمرأة في الاجتماع العربي. أما الفن التشكيلي والنحت فكان لهما مساهمتهما النخبوية في تجسيد حسي لسفور جسم المرأة، وفي توسيع مساحة دوائر العلانية العامة في ما يتصل بالمخيلة البصرية للعلاقات الجنسية في أواسط ثقافية محدودة متصلة بالثقافة العربية.

لم يواكب هذا النتاج الأدبي والفني في الثقافة العربية الحديثة طوال القرن العشرين، نتاج معرفي وبحثي يتصدّى لظواهر الحب والحياة الغرامية والعلاقات بين

الجنسين في الاجتماع العربي الحديث. فالتأريخ للثقافة والأدب والفنون، ولوجوه الحياة الاجتماعية وظواهرها الحديثة، ومنها الحياة العاطفية والجنسية والنفسيات، يكاد يكون شديد الضعف في الثقافة المعرفية العربية الحديثة. ذلك أن علوم النفس والاجتماع والإناسة حديثة العهد في ثقافتنا التي كانت أدبية النشأة في بدايات عصر النهضة. وربما يشكل ضعف الاهتمام بالحياة الفردية والشخصية في الثقافة العربية الحديثة السبب الرئيسي في عدم تصدي الباحثين لظواهر الحب والغرام والعلاقات بين الجنسين في الاجتماع العربي. ناهيك عن قلة الإنتاج المحلي في مجالات علم الاجتماع الأدبي والثقافي الذي تتوافر مادته في الغناء والشعر والرواية وغيرها من الفنون.

هذا كله ظهر في المشرق العربي على وجه الخصوص، حيث ازدهر الإنتاج الأدبي ازدهاراً لم يعرف المغرب العربي مثيله في اللغة العربية. إلا أنه ظهر في بلدان المغرب، ومنذ السبعينات من القرن المنصرم، عدد من الأبحاث والدراسات التي تناولت العلاقات بين الجنسين. وربما كان السبب في ذلك ابتعاد بلدان المغرب العربي عن مجابهات الصراع القومي والحروب الأهلية الدامية التي عاشها المشرق. وكذلك لعب عامل المثاقفة الحميمة بين المجتمعات المغاربية والثقافة الأوروبية، عاملاً منشطاً لظهور الأبحاث والدراسات الاجتماعية التي قاربت مسألة الحب والجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة في بلدان المغرب.

وقد كُتبت معظم هذه الأبحاث والدراسات في اللغتين الفرنسية والعربية، وهي تدور في الغالب حول اضطهاد المجتمع وتقاليده للعلاقات العاطفية والجنسية. وهو اضطهاد تعاني منه المرأة أكثر من الرجل في نظام شبه بطريركي. لذا قلّت الدراسات التي تناولت علاقات الحب السويّة أو العادية بين الجنسين، ربما لندرة مثل هذه العلاقات في المجتمعات العربية التي لم تولد فيها الحياة الفردية إلا مأزومة وشبه ممتنعة.

ومن الباحثين المغاربيين الذين ظهرت دراساتهم في هذا المجال نذكر على سبيل المثال:

– فاطمة المرنيسي التي تُرجمت مؤلفاتها من الفرنسية إلى العربية، وتناولت الحياة الجنسية للمرأة الشابة المغربية في ظل الثقافة الأبوية البطريركية الإسلامية.

– عبد الصمد الديالمي الذي ظهرت أبحاثه باللغتين الفرنسية والعربية حول

مشكلات السكن في علاقته بالحياة الجنسية في الاجتماع الإسلامي، وحول الحياة الجنسية وخطابها في المغرب.

– مالك شبل الذي تناولت أبحاثه مسألة الحياة الجنسية في علاقتها بالسلطة والثقافة الإسلامية وفي المجتمع المغربي.

– عبد الحق سرحان الذي ظهرت له دراسة في عنوان «ختان الحب»، فتناول مشكلة الفصل بين الجنسين والاضطهاد الجنسي، منذ الولادة وحتى الزواج في المغرب.

أما في لبنان الذي عاش في الستينات والسبعينات من القرن العشرين ما يشبه الطفرة في صور التحرر الثقافي والاجتماعي الذي انعكس إيجابياً على العلاقات الغرامية والعلاقة بين الجنسين، فإن الحروب الأهلية–الإقليمية فيه لم تسمح لتلك الاندفاعة أن تنتج معادلها في الإنتاج المعرفي والبحثي. فعدا بعض الدراسات العيادية التي نُشر القليل منها في الخارج، وبعض الأبحاث الجامعية الأكاديمية غير الشائعة على نطاق واسع، فإن الدراسات والأبحاث التي تصدت للحب والعلاقات الغرامية والجنسية تكاد تكون معدومة. فوجئنا ونحن نكتب هذه السطور وسررنا بخبر صدور دراسة أعدّها حسان حمدان، الأستاذ في معهد العلوم الاجتماعية، حول «**حقوق الشباب: الزواج والمعوّقات الاجتماعية والاقتصادية**.»(*)

هذا العدد الثامن من **باحثات** جرى إعداده ليكون محاولة أولى للفت النظر والانتباه إلى النقص في الأبحاث والدراسات التي تتصدى للحب ومشكلاته ولمسألة العلاقات الغرامية والجنسية في الثقافة العربية الراهنة.

أما المحاور التي توزعت عليها دراسات هذا العدد وأبحاثه فجاءت على الوجه الآتي:

– محور أول في عنوان: «لغات الحب في المتخيل الأدبي والفني»، تناول الحب والجنس في القصص الشعبي، وقرأ بعض مظاهرهما في المسرح الإغريقي/الفرنسي والشكسبيري والعربي، وفي إيكونوغرافيا الحب والجنس في الفن التشكيلي

(*) رأينا أن ننشر في هذا العدد مقدّمتها التي يلخّص فيها المؤلف أهم نتائج التحقيق الميداني الذي ارتكزت عليه دراسته.

المعاصر، قبل الانتقال إلى حضورهما في الأغنية العربية الرائجة اليوم، وفي أشرطة الفيديو–كليب.

– محور ثاني تناول «الحب في المعاش الاجتماعي وفي مختبر العيادة النفسية.» ومن عناوين هذا المحور: الحب في مرمى القانون، المعوّقات الاجتماعية والاقتصادية للزواج لدى الشباب، الحب والجنسانية لدى المعوّقين، المروءة مرآة لمفهوم الحب عند العرب في العصر الوسيط، الحب في مرآة كلام مريدات في حضرة شيخهن، والمشكلات الجنسية كما تعبّر عنها بعض النساء في العيادات النفسية.

– محور ثالث جُمعت فيه شهادات شخصية أو خاصة في الحب والعلاقات الغرامية، شارك فيه بعض الكتّاب والكاتبات، والشبان.

مارلين نصر ومحمد أبي سمرا